أين الطريق؟

"كيف نخرج من الظلمات إلى النور؟"

(المقدمة)

إلقاء: حازم صلاح أبو إسماعيل

تنسيق وتحرير: علي بسام رمضان



لجنة البحوث والدراسات

أين الطريق؟

"كيف نخرج من الظلمات إلى النور؟"

إلقاء:

حازم صلاح أبو إسماعيل

تنسيق وتحرير:

علي بسام رمضان



لجنة البحوث والدراسات

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

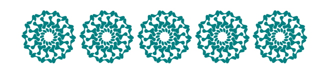
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأنصاره وجنده أجمعين.

في هذا العمل قمت بتفريغ وتنسيق مقدمة سلسلة "أين الطريق - كيف نخرج من الظلمات إلى النور" للشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل فك الله أسره، محاولًا أن أقدّمها للقارئ بصورة مرتبة وواضحة، تسهّل الاطلاع عليها والاستفادة منها.

- منهجية العمل:
- اعتمدت تفريغ الأفكار والاستدلالات وصياغتها باللغة الفصحى السهلة.
- قمت بتقسيم النص إلى عناوين رئيسية وفرعية لتوضيح الأفكار وتسلسلها.-
- حرصت على تحسين علامات الترقيم وتنسيق الفقرات لسهولة القراءة.
- اجتهدت في إبراز النقاط الجوهرية دون الإخلال بأمانة النقل عن الشيخ.

وهذه هي المرحلة الأولى من مشروع تفريغ السلسلة، بإذن الله، وستتبعها مراحل أخرى لاستكمال تفريغ كامل السلسلة بنفس المنهجية، حتى تكتمل الفائدة ويعم النفع.

راجياً من الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.



ترحيب بالسالكين إلى الله

المقدمة: الحب والإيمان رحم بين المؤمنين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه وأنصاره وجنده ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

إن المؤمن يتميز بحبه لإخوانه المؤمنين، فالحب بينهم دين وإيمان، فالمسلم هو الذي يحب المؤمنين ويشعر بحنين لهم، وأما من يبغض المسلمين ولا يشعر بحنين لهم فلا بد أن يراجع إسلامه، كما قال الله تعالى: *"فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً"*.

هذا الحب هو رحم يربط بين قلوب المؤمنين، فمن لا يشعر بحنين إلى إخوانه عليه أن يراجع إيمانه. نسأل الله أن يبارك في عواطفنا ويجعل كلماتنا موصولة بالشوق والمحبة، وأن تكون طاعته سبحانه والإيمان به رحمًا بيننا.

حب الصحابة للنبي: عاطفة صادقة لا مصلحة دنيوية

كان حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم عاطفة خالصة لا تبتغي مصلحة دنيوية. فقد أحبوا قوله: "يُحْشَرُ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ". ولم يكن هذا الحب لمجرد رفع درجاتهم في الجنة، بل كان نابعًا من عدم قدرتهم على تحمل فراقه. يروى أن أحد الصحابة قال: "يا رسول الله، لا نطيق فراقك من الصباح إلى المساء، فكيف إذا افترقنا في الجنة؟"، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث، حيث روى مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري: (قِيلَ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ ولَمَّا يَلْحَقْ بهِمْ؟ قالَ: المَرْءُ مع مَن أحَبَّ).

هذه العاطفة الصادقة هي التي حفظها الله للمؤمنين، فنحمد الله على قلوب تهفو إلى إخوانها وتحن إليهم، ونسأله أن يديم علينا هذه النعمة.

الجاهلية الأولى: ظلمات العقول والقلوب

تُعد الجاهلية الأولى نموذجًا للظلمات التي غرقت فيها البشرية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم. ولم تكن الجاهلية مجرد عبادة أصنام، بل كانت حالة شاملة من فساد العقيدة، وقسوة القلوب، وظلم المجتمعات. وصف الله سبحانه الفترة التي سبقت البعثة بـ"الجاهلية الأولى"

فقال تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ)، بينما وصف القرآن الكريم المسلمين بعد البعثة بـ"خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ". والعجيب أن هذا التحول حدث في نفس الأفراد خلال فترة زمنية قصيرة، مما يثير التساؤل: ما الذي حدث؟ كيف تحولت هذه الأمة من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان؟

فساد العقيدة: عبادة الأحجار والأصنام

كانت الجاهلية تتسم بفساد العقيدة، حيث كان الناس يعبدون الأحجار والأصنام التي يصنعونها بأيديهم. كانوا يختارون حجرًا من الصحراء، ينحتونه، ثم يسجدون له ويعتبرونه إلهًا يتحكم في مصائرهم. هذا الفساد العقدي لم يكن مقتصرًا على العرب، بل امتد إلى أقوام أخرى، كاليهود الذين أحبوا العجل واعتبروه إلهًا، وكالهندوس الذين يسجدون للأبقار حتى اليوم. هذه العقول الفاسدة التي لم تنر بالإسلام كانت تغرق في عبادات غريبة لا تستند إلى منطق.

قسوة القلوب: وأد البنات والظلم

ولم تقتصر الجاهلية على فساد العقيدة، بل امتدت إلى قسوة القلوب. وكان من أبشع مظاهرها وأد البنات، حيث كان الرجل يأخذ ابنته الرضيعة ويدفنها حية في الرمال، في فعل يعكس قلوبًا متحجرة لا تعرف الرحمة. كما كان الظلم منهجًا اجتماعيًا، حيث يُسلب الضعيف حقه، ويُعتبر ذلك قاعدة. يُروى أن أبا جهل كان يأخذ أموال الناس ويرفض ردها، وعندما طالب رجل بحقه، سخر منه أشراف قريش وأحالوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، الذي تدخل بقوة وأعاد الحق لصاحبه، روى ابن إسحاق في سيرته وأبو نعيم في دلائل النبوة والبيهقي في دلائل النبوة بأسانيدهم: عن عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ الثَّقَفِيُّ، قَالَ: (قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ إِرَاشٍ بِإِبِلٍ لَهُ مَكَّةَ، فَابْتَاعَهَا مِنْهُ أَبُو جَهْلٍ بن هشام، فَمَطَلَهُ بِأَثْمَانِهَا. فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيُّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى نَادٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَنْ رَجُلٌ يُؤَدِّينِي عَلَى أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، فَإِنِّي رَجُلٌ غَرِيبٌ، ابْنُ سَبِيلٍ، وَقَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّي؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَهْلُ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ: أَتَرَى ذَلِكَ الرَّجُلَ – وَهُمْ يَهْزَءُونَ بِهِ، إلى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، لِمَا يَعْلَمُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي جَهْلٍ مِنْ الْعَدَاوَةِ- اذْهَبْ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يُؤَدِّيكَ عَلَيْهِ. فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيُّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا الْحَكَمِ بْنَ هِشَامٍ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقٍّ لِي قِبَلَهُ، وَأَنَا رَجُلٌ غَرِيبٌ ابْنُ سَبِيلٍ، وَقَدْ سَأَلْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَنْ رَجُلٍ يُؤَدِّينِي عَلَيْهِ، يَأْخُذُ لِي حَقِّي مِنْهُ، فَأَشَارُوا لِي إِلَيْكَ، فَخُذْ لِي حَقِّي مِنْهُ، رحمكَ اللَّهُ. فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: انْطَلِقْ إِلَيْهِ، وَقَامَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ مَعَهُ. قَالُوا لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُمْ: اتْبَعْهُ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُ. فخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى جَاءَهُ فَضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ. فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَاخْرُجْ إِلَيَّ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وَمَا فِي وَجْهِهِ مِنْ رَائِحَةٍ، قَدْ امتقعَ لَوْنُهُ، فَقَالَ

له: أَعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حَقَّهُ. فقَالَ: نَعَمْ، لَا يبْرَحْ حَتَّى أُعْطِيَهُ الَّذِي لَهُ. فَدَخَلَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَالَ لِلْإِرَاشِيِّ: الْحَقْ بِشَأْنِكَ. فَأَقْبَلَ الْإِرَاشِيُّ حَتَّى وَقَفَ عَلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، فَقَالَ: جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَخَذَ الذي لِي. جَاءَ الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثُوا مَعَهُ، فَقَالُوا: وَيْحَكَ مَاذَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ عَجَبًا مِنَ الْعَجَبِ ، وَاللَّهِ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَخَرَجَ وَمَا مَعَهُ رُوحُهُ فَقَالَ: أَعْطِ هَذَ الرجل حَقَّهُ، قَالَ: نَعَمْ لَا يبْرَحْ حَتَّى أُخْرِجَ إِلَيْهِ حَقَّهُ، فَدَخَلَ فأَخْرَجَ إِلَيْهِ حَقّه فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ . قَالَ: ثم لَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالُوا لَهُ: وَيْلَكَ مَا لَكَ فوَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: وَيْحَكُمْ وَاللَّهِ ما هُوَ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ علي بَابِي وَسَمِعْتُ صَوْتَهُ فَمُلِئْتُ رُعْبًا، ثم خَرَجْتُ إِلَيْهِ وَإِنَّ فَوْقَ رَأْسِي لَفَحْل مِنَ الْإِبِلِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَامَتِهِ وَلَا قَصَرَتِهِ وَلَا أَنْيَابِهِ لِفَحْلٍ قَطُّ، وَاللَّهِ لَوْ أَبَيْتُ لَأَكَلَنِي).

تفاهة العقل الجاهلي وفراغ التفكير

لقد كان العقل الجاهلي فارغًا وتافهًا، ينشغل بشعره حول جمال النساء ومواصفات الحيوانات والخمر دون قضايا جوهرية، وأكبر مثال على ذلك سوق عكاظ حيث كانوا يتباهون بالأنساب والمفاخر بدلًا من مناقشة قضاياهم المصيرية التي تحيط بهم.

الإباحية والفجور: انحراف الأخلاق

كانت الجاهلية أيضًا موطنًا للإباحية والفجور. كانت بيوت الدعارة تعمل بتصريح رسمي، معلنة برايات حمراء. بل إن القرآن تحدث عن إكراه الجواري على البغاء رغم رغبتهن في التحصن، فقال تعالى: "وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا". ومن مظاهر الفجور أن بعض الرجال كانوا يرسلون زوجاتهم إلى رجال أقوياء ليحملن منهم، سعيًا لإنجاب أبناء أقوياء. كما كان الطواف حول الكعبة يتم أحيانًا عراة، بحجة أن الملابس التي عصوا الله بها لا تصلح للطواف.

الكسب الحرام: فساد الاقتصاد

لم تستطع قريش، وهي بلد تجاري، أن تجد مالًا حلالًا يكفي لإكمال بناء الكعبة، وهي غرفة صغيرة مبنية من حجارة عادية. حيث كانت أموالهم تأتي من الربا، والقمار، والنهب، وبيوت الدعارة. وعندما قرروا بناء الكعبة من مال حلال، لم يجدوا ما يكفي، مما يكشف عن اقتصاد مبني على الحرام. هذا الفساد الاقتصادي كان جزءًا من الجاهلية التي جعلت المجتمع غارقًا في الظلمات.

رفض الحق: سمة الجاهلية العمياء

من أبرز سمات الجاهلية رفض الحق رغم معرفته. يُروى أن أبا جهل، وهو يعلم صدق النبي صلى الله عليه وسلم، رفض الإسلام لأسباب قبلية، روى ابن إسحاق في سيرته بإسناده أن الزهري حدَّث: (أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف ابن زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل واحد منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، حتى إذا جمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، قال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به. قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد، قال: ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه، قال: فقام عنه الأخنس وتركه).

كذلك أبو طالب، عم النبي، أقر بصدق ابن أخيه، لكنه رفض الإسلام ليبقى على دين آبائه، روى البخاري ومسلم عن سعيد بن المسيب عن أبيه، أنه أخبره: (أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل بن هشام -وأبو جهل كان يكنى في الجاهلية بـ أبي الحكم، فلما كفر لقبه المسلمون بـ أبي جهل، ولا زالت هكذا كنيته إلى قيام الساعة- وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لـ أبي طالب: وهو في سياق الموت: (يا عم! قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد) وفي رواية: (أحاج لك بها عند الله) . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه -أي: يعرض عليه لا إله إلا الله- ويعودان الكافران بتلك المقالة، وهي: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ أتترك ملة أبيك؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، وهما يعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فأنزل الله تعالى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا

أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} وأنزل في رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}).

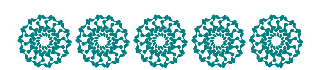
حتى فرعون، الذي عرف الحق، رفضه عنادًا وكبرياء، قال تعالى: (وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ). وهذا الرفض ليس جهلًا بالمعنى الحرفي، بل هو جاهلية عمياء تقاوم النور.

التحول العظيم: من الظلمات إلى النور

كيف استطاع الإسلام أن يمد يده إلى هذه الجاهلية ويخرج منها خير أمة؟ هذا هو السؤال الذي يجب أن نفهمه. لم يكن الإسلام مجرد وعظ أو تأثير عاطفي، بل كان فهمًا عميقًا وتغييرًا جذريًا في العقول والقلوب. لقد أخرج الله الناس من الظلمات إلى النور بإذنه، كما قال: "هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ". هذا التحول لم يكن ثقافة أو تاريخًا، بل كان صناعة ربانية لأمة تفاجئ البشرية.

الخاتمة: دعوة لفهم الطريق إلى النور

إن فهم كيفية خروج الأمة من الجاهلية إلى النور ليس مجرد دراسة تاريخية، بل هو واجب على كل مسلم ليخرج نفسه من ظلمات الجهل والفساد إلى نور الإيمان. نسأل الله أن يأخذ بأيدينا إليه أخذ الكرام عليه، وأن ينير قلوبنا ويعيننا على فهم ديننا. وموعدنا مع استكمال هذا الحديث لنفهم كيف صنع الإسلام رجالًا عظماء من أمة كانت غارقة في الجاهلية.



الجاهلية أسلوب حياة وليست مرحلة تاريخية

أهمية السلسلة

أيها الإخوة الكرام، إن هذه السلسلة التي نخوض فيها ذات أهمية بالغة، إذ تتناول انتقال الناس من الجاهلية إلى الإسلام، ومن الظلمات إلى النور. وليس هذا الانتقال بين أجيال متعاقبة، بحيث يموت جيل ويولد آخر، بل هو تحول يحدث في الأفراد أنفسهم. فالشخص ذاته الذي كان يعيش في ظلمة الجاهلية اليوم قد يصير في نور الإسلام الغد. فقد كان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما في ظلمة الجاهلية، ثم هداهما الله إلى نور الإسلام.

الجاهلية ليست مرحلة تاريخية منتهية

إن من الأخطاء الشائعة بين كثير من المسلمين الظن بأن الجاهلية مرحلة تاريخية انقضت قبل ظهور الإسلام وانتهت. وهذا التصور غير صحيح. فالجاهلية ليست مجرد حقبة زمنية، بل هي منهج قد يعود في أي وقت. وكثير من المسلمين يعتقدون أن الحديث عن الجاهلية محصور في صفحات الكتب القديمة، لكن القرآن الكريم يبين عكس ذلك، إذ يؤكد أن الجاهلية منهج قد يتجدد ويعود.

أحاديث النبي تؤكد عودة الجاهلية

ولقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح: "لن تقوم الساعة حتى يُعبد اللات والعزى"، مما يعني أن الناس سيعودون يومًا قبل قيام الساعة لعبادة الأصنام من جديد. وفي حديث آخر: "لن تقوم الساعة إلا على شرار الناس" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (...فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة)، أي الذين يتفشى فيهم الفساد والظلم والفجور، حتى يصيروا كـ"تهارج الحمر"، أي كالحمير التي تنفر وتضطرب عند رؤية النار، فيصيرون في حالة من الاضطراب والفساد الأخلاقي والاجتماعي.

تفسير حديث "حتى لا يبقى أحد يقول الله الله"

وورد في صحيح مسلم حديث يقول: "لن تقوم الساعة حتى لا يبقى على الأرض أحد يقول الله الله". وقد اختلف العلماء في تفسيره: فإن قُرئ بضم الهاء (اللهُ اللهُ)، فمعناه غياب التوحيد، أي أنه لن يبقى على الأرض من يقول "لا إله إلا الله". وإن قُرئ بفتح الهاء (اللهَ اللهَ)، فمعناه زوال النهي عن المنكر، بحيث لا يبقى من يقول للناس: "اتقوا الله" أو "احذروا الله". وكلا التفسيرين يدل على عودة الجاهلية والظلمات إلى الأرض.

مخاطر العصر الحالي وعودة الظلمات

إن العصر الذي نعيشه اليوم يحمل مخاطر جسيمة، إذ تتجدد فيه مظاهر الجاهلية. وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث: "بادروا بالأعمال الصالحة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا". فقد يبدأ الإنسان يومه مؤمنًا وينهيه على غير الإيمان، أو العكس. ومن الأمثلة المعاصرة من يعمل في الربا نهارًا، ثم يصلي في المسجد ليلًا، ظنًا أن هذا يجمع بين الإيمان والمعصية، في حين أن هذا قد يقربه من صفات الجاهلية.

الجاهلية قد تتسلل إلى المسلم نفسه

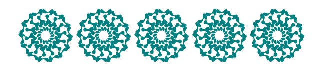
ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة، وهو مؤمن موحد: "إنك امرؤ فيك جاهلية"، رغم إيمانه وتقواه. وهذا يدل على أن صفات الجاهلية قد تتسلل إلى المسلم نفسه، حتى وإن كان من أهل الإيمان. فالجاهلية ليست مجرد سلوك خارجي، بل قد تكون صفات داخلية تتغلغل في القلب إن لم يتنبه الإنسان.

صفات النفاق والجاهلية داخل المسلم

وورد في الحديث: "ثلاث من كن فيه كان منافقًا خالصًا"، ومن كانت فيه خصلة من هذه الخصال كانت فيه خصلة من النفاق حتى يتركها. فالمسلم قد يحمل بعض صفات الجاهلية أو النفاق، فإذا تسللت إليه خصلة من هذه الصفات، صارت جزءًا منه، وإذا كثرت هذه الخصال وتراكمت، قد تنقله إلى درجة النفاق الخالص. وقد قال الله تعالى: "إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا"، فهم في حال أسوأ من الكافرين.

القلب المتقلب وخطر الجاهلية المستمر

وإن القلب سمي قلبًا لتقلبه، فهو عرضة للتحول والتغير. والجاهلية عمل قد يعود إلى الإنسان إن لم يراقب نفسه ويمنع تسلل صفاتها إليه. لذا يجب على المسلم ألا يطمئن إلى إيمانه فحسب، بل أن يكون يقظًا دائمًا، حذرًا من عودة الجاهلية إلى قلبه. فاليقظة والمجاهدة ضروريتان للحفاظ على نور الإسلام ودفع ظلمات الجاهلية.



ظلمات الحياة الجاهلية كما تحدث عنها القرآن

معرفة كيفية تحول الجاهليين إلى صحابة

أيها الإخوة الكرام، إنني أتحدث إليكم بشوق عظيم لفهم كيف حول الإسلام شخصيات كانت غارقة في ظلمة الجاهلية إلى صحابة هم في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء. كيف استطاع الإسلام أن يبدل هؤلاء الأفراد أنفسهم؟ إنني أنظر إلى الشباب في الشوارع، فأتمنى أن يتحولوا إلى مثل هؤلاء. وهل هذا ممكن؟ بالطبع، بل إنه ليس مجرد احتمال، بل هو جوهر

الإسلام وحرفة الإسلام، إذ يصنع هذا التحول العظيم. وهذا هو هدف لقاءاتنا، أن نفتح القرآن الكريم لنرى كيف أنجز الإسلام هذا التغيير.

مظاهر الجاهلية في أمة عاد: العبث والعنف

يبين القرآن الكريم مظاهر الجاهلية في أمم سابقة، كقوم عاد الذين أرسل الله إليهم نبيهم هودًا. لقد كانوا يبنون قلاعًا ضخمة في كل مرتفع من الأرض، كالهضاب والجبال، لا لحاجة حقيقية، بل عبثًا وللتخليد، كما قال تعالى: "أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ". وأعجب من ذلك، كانوا يبطشون بالناس بعنف شديد، فإذا أرادوا معاقبة أحد، لم يكتفوا بمجرد التوبيخ، بل دمروا أهله وأمواله وبيته، كما قال تعالى: "وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ". وقد وصفهم الله في سورة الفجر بأنهم "إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ"، لما بلغوا من قوة عمرانية لم يسبقهم إليها أحد.

جاهلية ثمود: التباهي والإسراف في البناء

أما قوم ثمود، الذين بعث الله إليهم نبيهم صالحًا، فقد تميزوا بجاهلية التباهي والإسراف في البناء. كانوا ينحتون الجبال ليصنعوا منها بيوتًا فارهة، لا لحاجة ملحة، بل للتفاخر والعبث، مضيعين أعمارهم في ذلك. وقد قال لهم صالح: "أَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ". وكانوا قادرين على نقل الصخور الضخمة واستخدامها في البناء، كما فعل الفراعنة في بناء الأهرامات، مما يعكس قدرتهم العجيبة وإسرافهم في استغلالها.

جاهلية نساء مصر في قصة يوسف: تبرير الفساد

في قصة سيدنا يوسف، يظهر نوع آخر من الجاهلية في مجتمع نساء مصر. فقد راودت امرأة العزيز يوسف عن نفسه، وعندما شاعت القصة في المدينة، لم تخجل، بل جمعت النساء وأقرت بفعلتها، بل وبررته قائلة: "وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ". وعندما رأت النساء يوسف، أيدتها وقالت: "فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ". هذا المجتمع كان يبرر الفساد الأخلاقي ويعتبره أمرًا طبيعيًا، مما يعكس انحرافًا خطيرًا.

جاهلية قوم لوط: الفساد الجنسي المجتمعي

وفي قصة قوم لوط، يبرز نوع آخر من الجاهلية، حيث ترك الرجال النساء واتجهوا إلى الرجال في العلاقات الجنسية، وكذلك فعلت النساء، فغرق المجتمع في الفساد والضياع. وهذا يشبه ما نراه في الجاهلية الحديثة، حيث توجد مسارح في بعض البلدان، كفرنسا، تعرض أفعالًا

جنسية علنية أمام الجمهور، مما يعكس انحطاطًا أخلاقيًا ويؤكد ضرورة الإسلام كمنقذ من هذه الظلمات.

الجاهلية الحديثة: امتهان المرأة وتحويلها إلى سلعة

إن الجاهلية الحديثة تمتهن المرأة بجعلها سلعة تسويقية، فتُستخدم في الإعلانات والوظائف كسكرتيرة أو مضيفة أو مرشدة سياحية، ليس لكفاءتها، بل لتسويق المنتجات، سواء كانت أحذية أو صابونًا أو غيرها. فهل هذا تكريم للمرأة أم امتهان لها؟ إن الإسلام يرفض هذا الوضع، وإن تكاليف الشريعة صانت كرامة المرأة وحفظت عرضها من أن يمتهن.

جاهلية اقتصادية في قوم شعيب: الغش والفساد

أما قوم شعيب، أصحاب الأيكة، فقد وجههم نبيهم إلى ترك الجاهلية الاقتصادية، حيث كانوا يغشون في الكيل والميزان، ويصنعون موازين غير عادلة لخداع الناس. وقد قال لهم شعيب: "أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ". فالغش وقطع الطريق وإفساد الأرض كانت سمات جاهليتهم، مما يستدعي إنقاذ النفس من هذه الظلمات.

كيف أخرج الإسلام الناس إلى النور

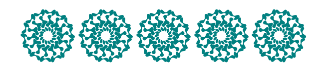
ستتناول اللقاءات القادمة كيف مد الإسلام يده إلى الناس وهم في ظلمات الجاهلية، فأخرجهم من الفساد والضياع إلى نور الإسلام، وحولهم إلى خير أمة أخرجت للناس. وسيتم تطبيق هذا المنهج على كل فرد في المجتمع المعاصر، سواء في بلد إسلامي أو غير إسلامي، لنرى كيف يمكن نقل الناس من الجاهلية إلى الإسلام، ومن الظلمات إلى النور، كما فعل الإسلام دائمًا.

التاريخ الإسلامي: النهوض من الحضيض إلى النور

لقد شهد التاريخ الإسلامي فترات انحدار للمسلمين، ثم جاءت الدعوة الإسلامية لترفعهم من الحضيض إلى النور مجددًا. فقد حدث ذلك في دولة المرابطين في الأندلس، وفي عهد عمر بن عبد العزيز، ومع قيام الدولة العثمانية. والسر يكمن في منهج القرآن الكريم، الذي يُهمل أحيانًا، فيقع الناس في الظلمات، ثم يستعيدونه فيطبقونه ويرتفعون به إلى القمة.

دعوة للعودة إلى القرآن

إن علينا أن نمد أيدينا إلى كتاب الله لنقرأه ونكتشف المنهج الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، فنعمل به لنرتقي بأنفسنا ومجتمعاتنا. وإن الإسلام سيعود قويًا على منهج النبوة الأولى، كما صحت بذلك أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: (تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ)، وأختم بالدعاء أن يأخذ الله بأيدينا إليه أخذ الكرام عليه، برحمته وفضله، يا رب العالمين.



تحول النفوس عندما يلمسها منهج الإسلام

أيها الإخوة الكرام، تحدثنا في الفقرتين الماضيتين عن الجاهلية الأولى وظلماتها التي تمكنت من البشر. وقد وصف القرآن الكريم أهلها بقوله: "أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ"، إذ اعتبر تسميتهم بالأنعام تكريمًا لهم، فهم أضل منها، كما شهدنا ظلام الجاهلية في القلوب والعقول، حيث كانوا يدفنون البنات أحياء، ويتدنسون بفساد الأموال والأخلاق.

التحول المفاجئ إلى خير القرون

فجأة، وفي زمن قصير لا يتجاوز خمسًا إلى عشر سنوات، تحول هؤلاء الجاهليون أنفسهم، الذين كانوا أدنى من الأنعام، إلى خير القرون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "خير القرون قرني". هم أنفسهم، لم يمت جيل ويأتِ آخر، بل هم ذات الأشخاص الذين أصبحوا خير أمة أخرجت للناس كما وصفهم الله تعالى. فكيف حدث هذا التحول العظيم في هذه الفترة الوجيزة؟

حال الجاهليين قبل الإسلام

كان هؤلاء الجاهليون يعيشون في ظلمات: أموالهم من حرام، من قطع الطريق والدعارة والسرقة، لا يملكون مالًا حلالًا يصلح لبناء الكعبة. كانوا يظلمون ويفسدون في الأخلاق والمعاملات. ثم فجأة، أصبحوا أطهارًا أبرارًا. فما الذي حدث؟ كيف تحول هذا الجيل بهذه السرعة إلى هذا النقاء؟

ثقة الله في أهل بدر ومغفرته لهم

يبرز هذا الجيل في حديث أهل بدر الذين قال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم: "وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم". وهذا ليس دعوة للمعاصي، بل ثقة إلهية في أنهم لن يشاءوا ما يغضب الله، إذ صارت قلوبهم نقية لا تميل إلى الخمر أو الزنا أو الفاحشة. هذه الثقة من الله تعالى تعكس مكانتهم العظيمة بعد تحولهم من الجاهلية.

جيل رضي الله عنه

يقول الله تعالى عن هذا الجيل: "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ"، فأولئك الذين كانوا يرفضون الآيات، ويعبدون الأحجار، ويدفنون البنات أحياء، أصبحوا محل رضا الله ورضاهم عنه. فكيف تحولت قلوبهم من ظلام الجاهلية إلى هذا المستوى من القبول الإلهي؟ ما الذي أحدث هذا التغيير العظيم؟

أمناء الدين

جيل أصبحوا أمناء هذا الدين على الأرض فلقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض أبدًا"، مشيرًا إلى مجموعة صغيرة من 300 فرد أصبحوا أمناء الدين إلى يوم القيامة. كيف وصل هؤلاء القلة إلى هذه المكانة؟ إنهم أنفسهم الذين كانوا جاهليين، فكيف أصبحوا حماة العقيدة وأمناءها؟

جيل يحب الله ويحبهم الله

يصف الله تعالى علاقته بهم بقوله: "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ"، هؤلاء الجاهليون بعد أن ساروا على درب الإيمان أحبهم الله، وجعلهم مقربين إليه، يعينهم في كل أمر. فكيف وصلوا إلى هذا الحب والقرب؟ إن هذا يثير التشوق لفهم سر هذا التحول.

مقارنة مع بني إسرائيل: تحول الأفراد لا الأجيال

يختلف قدر أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن أمة موسى عليه السلام. فقد تاه بنو إسرائيل أربعين سنة في الصحراء بعد أن عصوا أوامر الله تعالى ،حتى نشأ جيل جديد تربى على تعاليم النبوة، بينما في الإسلام تحول الجاهليون أنفسهم إلى مسلمين في سنوات قليلة. وفي زمن وجيز، إلى أن نزل قوله تعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا"، مؤكدًا اكتمال الدين ويأس الكافرين منه.

آيات تصف نورانية الصحابة

لقد امتلأت قولب هذا الجيل بالنورانية فرضي الله عنهم وثبت في قلوبهم الإيمان، قال تعالى: "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ"، وقوله تعالى: "وكَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ". لقد رأى الله في قلوبهم كنزًا فجعلهم أهل التقوى، فأنزل عليهم السكينة وأثابهم فتحًا قريبًا. فما الذي كان في قلوبهم ليصلوا إلى هذه النورانية؟

تطهير القلوب من الدنيا للوصول إلى النور

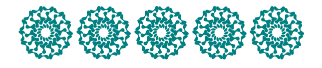
فيجب أن نطهر قلوبنا من التعلق بالدنيا، كالافتتان بالسيارات والممتلكات. وأن نفرغ قلوبنا من رغبات الدنيا ليستحق مدح الله كما استحق الصحابة، الذين كتب الإيمان في قلوبهم وأصبحوا أهل التقوى.

الهدف من اللقاءات القادمة: فهم التحول وتطبيقه

ستتناول اللقاءات القادمة تفصيلًا كيف تحول الجاهليون إلى نورانية كاملة، وكيف أخرج الإسلام الناس من الظلمات إلى النور، لنقدم طريقًا واضحًا لكل مسلم صادق يريد إصلاح نفسه، وندرس معًا كيف نخرج أنفسنا من الجاهلية إلى الإسلام.

وفي الختام

أسأل الله تعالى أن يبارك في أفهامكم وقلوبكم، ويجعلها مطابقة لمراد رب العالمين. وأسأله أن يجعلكم متوجهين إليه برحمته ورضوانه. أيها الإخوة، لا نسعى لإلقاء مواعظ أو دروس فحسب، بل نريد أن نأخذ بأيدينا من الظلمات إلى النور. ونعوذ بالله أن نكون نحن من يقود أنفسنا، بل نسأله أن يأخذ بأيدينا إليه أخذ الكرام عليه، وأن يعلمنا كيف نتحول من ظلمة الجاهلية إلى نورانية الإسلام.



تحول المجتمعات عندما يلمسها منهج الإسلام

مرابطة الصحابة للطاعة وتأثيرها على الدنيا

أيها الإخوة الكرام، كان الصحابة رضوان الله عليهم متمسكين بالطاعة، مستجيبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، متبعين له، تاركين المعصية وما نهى عنه، فسعدت الدنيا بهم. ولم يكن نورهم مقتصرًا على أنفسهم كأفراد كأبي بكر وعمر وعثمان، بل كان نورًا أحيا الدنيا والمجتمعات والناس، فأفاقت المجتمعات من ظلماتها وتنفست الكرامة وأبصرت النور، وعادت كأنها خُلقت من جديد، لأنهم منحوا الناس ما يحيون به وهو دين الله تعالى ومنهج الإسلام.

الكفاية والأمن في عهد الصحابة

في عهد الصحابة، فاض المال حتى صاروا لا يجدون فقراء كافين لتوزيع زكاتهم، وحُملت الجمال بالذهب والفضة تسافر من الجزيرة إلى اليمن وتعود دون خوف من قطاع الطرق أو اللصوص، واستُخدمت أموال الزكاة لتيسير الحج والزواج وتلبية حاجات الناس، فسعدت بهم الدنيا وسعد بهم الناس.

اختفاء الجريمة والأمان التام

اختفت الجرائم في عهدهم إلا ما ندر، وكانت المرأة تمشي في الصحراء دون أن يتعرض لها أحد بسوء، بفضل الأمن المستتب، وفي حاضرنا الذي نعيشه حيث هناك في كل حي مخفر للشرطو ودورية للأمن، سجل قسم شرطة واحد في عام 2007 أكثر من اثنين وعشرين ألف جنحة.

انتشار الإسلام وانهيار الممالك

انتشر الإسلام في ثمانين سنة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب على يد هؤلاء الربانيين الذين رباهم الإسلام، وأسقطوا ممالك الفرس والروم، وقد كانا قطبا النظام العالمي في ذلك العصر. ورحبت الأمم بالإسلام ودخلت في دين الله دون إجبار أو إكراه لأنه لمست فيه الحق والعدل والكرامة، فذابت تلك المجتمعات العظيمة في الإسلام، وفتح الناس قلوبهم للمسلمين قبل ديارهم.

حرية الكفر في الإسلام

منح الإسلام الكفار حرية الكفر ومنع المسلمين من إكراههم على اعتناق الإسلام قال تعالى: "لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ"، كما قال الله تعالى: "فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ"، فهذا عمر بن الخطاب يرفض الصلاة في كنيسة القيامة خشية تحويلها إلى مسجد، وكتب عهدًا في كنيسة المهد بحمايتها، مؤكدًا جواز الصلاة فيها مع ضمان حرية العبادة لغير المسلمين.

الجزية: عدل وليست ظلمًا

وأما الجزية فهي ضريبة على الكفار المقيمين بين المسلمين، وهي أقل من الزكاة التي تؤخذ من المسلمين، وتُفرض الجزية على المقاتلين القادرين فقط، ويُعفى منها النساء والأطفال والعجزة، وكذلك يُعفي غير المسلمين من القتال لحماية الإسلام، على عكس الدول المعاصرة حيث عاقبت أمريكا محمد علي كلاي عندما رفض القتال في فيتنام، لأنه رأى في ذلك مخالفة لتعاليم الإسلام، بينما في الدولة المسلمة فلا يفرض على الكفار القتال في جيش المسلمين.

كرامة المرأة في الإسلام

رفع الإسلام مكانة المرأة من لا شيء في الجاهلية إلى مكانة عظيمة ورفيعة. ففي قصة أم هانئ، حمَت أم هانئ رجلًا من الكفار من أخيها علي بن أبي طالب، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم شفاعتها، فعن أم هانئ قالت أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت: (يا رسول الله، زعم ابن أمي أنه قاتل رجلا قد أجرته فلان ابن هبيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ)، فحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وحماية هذه المرأة بعد أن كانت في الجاهلية لا وزن لها ولا قيمة.

كرامة الطفل في الإسلام

أعطى الإسلام الطفل كرامة عالية. وقد كان عمر يفرض للطفل المفطوم راتبا من بيت مال المسلمين لينفق عليه منه والداه ثم تحدث قصة تجعل سيدنا عمر يتراجع عن هذا القرار ليفرض هذا الراتب للطفل منذ ولادته، يقول أسلم خادم عمر: (قدم المدينة رفقة من تجار فنزلوا المصلَّى، فقال عمر لعبدالرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة؟ قال: نعم! فباتا يحرسانهم ويصلِّيان، فسمع عمر بكاء صبيٍّ فتوجَّه نحوه، فقال لأمِّه: اتقي الله تعالى، وأحسِني إلى صبيِّك. ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه، فعاد إلى أمه، فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه. فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي، فأتى إلى أمه، فقال لها: ويحك، إنكِ أمُّ سوء، ما لي أرى ابنَك لا يقَرُّ منذ الليلة من البكاء؟! فقالت: يا عبدالله، إني أشغله عن الطعام، فيأبى ذلك. قال: ولِمَ؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم. قال: وكم عمر ابنك هذا؟ قالت: كذا وكذا شهرًا. فقال: ويحك، لا تُعجليه عن الفطام. فلما صلَّى الصبح، وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء، قال: بؤسًا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين! ثم أمر مناديَه فنادى: لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام؛ فإنا نفرض لكلِّ مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق). وكان الطفل الحافظ للقرآن يؤم المشايخ في الصلاة، حتى لو كان عمره سبع سنوات، لإتقانه لكتاب الله تعالى.

وفي قصة عبد الله بن أبي بن سلول، حيث سمع طفل مسلم مؤامرته وأبلغ النبي صلى الله عليه وسلم بها. وعندما أنكر عبد الله بن أبي رأس المنافقين قوله وحلف بالله، نزل الوحي مصدقًا للطفل: "يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ". فقال النبي للطفل: "صدقك الله من فوق سبع سماوات"، مؤكدًا كرامته.

تحرير العبيد وكرامتهم

وحرر الإسلام العبيد، كما في قصة أبو مسعود الذي ضرب عبدًا له، فوبخه النبي قائلًا: "اعلم أن قدرة الله عليك أعظم من قدرتك عليه"، فأعتقه خوفًا من النار. وفي قصة جارية فقدت درهمًا، أعطاها النبي درهمًا وأوصلها لبيتها، فأعتقها أهلها شكرًا لشفاعته.

انتهاء الاستبداد في الإسلام

وقد زال الاستبداد في الإسلام، فتأمل هذه القصة لعمر بن الخطاب ومعارضة شخص له بسبب قطعة قماش زائد، حيث جاءت إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أقمشة من اليمن، فأعطي كل رجل من المسلمين قطعة تكفي ثوبا واحدا، ثم أخذ نصيبه ونصيب ولده عبد الله وخاطه ولبسه. فلما صعد عمر المنبر ليخطب في الناس، وقال: أيها الناس اسمعوا وأطيعوا، قام إليه رجل من المسلمين، وقال: لا سمعا ولا طاعة، فقال عمر : ولم ذلك؟ قال: لأنك استأثرت علينا، قال عمر: بأي شيء؟ قال الرجل: لقد أعطيت كلا منا قطعة من القماش، تكفي ثوبا واحدا، وأنت رجل طويل، وهذه القطعة لا تكفيك ثوبا، ونراك قد خيطه قميصا تاما، فلابد أنك أخذت أكثر مما أعطيتنا، فالتفت أمير المؤمنين إلى ابنه عبد الله، وقال :يا عبد الله أجبه عن كلامه، فقال عبد الله: لقد أعطيته من كسائي ما أتم به قميصه، قال الرجل: أما الآن فالسمع والطاعة. وفي قصة القبطي، أمر عمر بضرب ابن عمرو بن العاص الذي ظلم هذا القبطي ثم أمره بضرب أبيه عمر بن العاص لرفع ظلمه.

حرق أبواب الاستبداد

حيث أرسل عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة الأنصاري لحرق باب قصر لوالٍ وضعه حاجزًا بينه وبين الناس، مؤكدًا أن الوالي يجب أن يكون مع شعبه وأن يكون قصره مفتوحا دائما للناس.

ذوبان الأمم في نور الإسلام

لا بد أنك تتسائل عن مصير أمم القبط والفرس والبربر والأحباش في البلاد التي فتحها الإسلام، والجواب أنها ذابت في الإسلام لما رأت الحق والعدل فيه، فقبلوا نوره وكرامته وأصبحوا

مسلمين. فلم يعد المصري يعرف إن كان أصله عربيًا أم قبطيًا، لأن الأمم امتزجت في الإسلام وصارت أمة واحدة.

كرامة الشباب ودورهم العظيم

أعطى الإسلام الشباب أدوارًا عظيمة، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل لليمن ومصعب بن عمير ليثرب وجعفر بن أبي طالب للحبشة، وهم في العشرينات، ليعلموا الأمم، بخلاف شباب اليوم المنشغل بالتفاهات والذي لا يرفع بقضايا أمته اليوم رأسا.

المنهج الإسلامي لإصلاح اليوم

ليس الهدف من هذه الكلمات سرد تاريخ مضى منذ 1400 سنة، بل استخلاص منهج الإسلام الذي حول هؤلاء الجاهليين أنفسهم إلى أئمة عظام نشروا دين وبلغوا رسالة الإسلام وأنقذوا البشرية من براثن الجاهلية والظلم. ونحن سنتناول هذا المنهج الذي صنع هؤلاء الأعلام لتطبيقه على أحوالنا اليوم، لإصلاحها وإحيائها، متعلمين معًا كيف نستقيم على منهاج الله.

